الاستشراق السياسي وتغريب الفكر الإسلامي.

Political Orientalism and the Westernization of Islamic thought.

✍اسم ولقب المؤلف: محمود عبد الرازق حسن محمود

الدرجة العلمية والوظيفة: محاضر. جامعة درنة، فرع القبة، كلية الآداب، قسم الدراسات الإسلامية.

البريد الإلكتروني: Mahmoud.mahmoud@uod.edu.ly

تاريخ استقبال البحث: 2024/08/29م، تاريخ القبول: 2024/09/23م

الملخص باللغة العربية:

حاولت هذه الدراسة تبيان الأثر السلبي الذي خلفه الاستشراق خصوصًا في جناحه السياسي، وما مدى تأثيره على المواطن العربي في غياب قاعدة دينية رصينة، كان للاستشراق دورًا مهمًا في زعزعتها ومحاولة القضاء عليها، وكما هو معلوم أن الاستشراق مَثَّلَ جناحًا فكريًا توغل كثيرًا في الدراسات الشرقية بصفة عامة، وفي الدراسات الإسلامية بصورة أكثر خصوصية، حاول من خلال هذا التوغل بث روح حضارته الغربية؛ لتحل محل الفكر الثقافي الإسلامي، وفق المنهج التاريخ الاسترادي والمنهج التحليلي الوصفي، قسمت هذه الدراسة إلى مبحثين هما: الأول الاستشراق، الجناح الفكري للغزو الغربي والثاني الاستشراق والخلافة، ودوره في التجزئة والإبعاد ونشر البديل، وكان من نتائجها أن الاستشراق قد وجد في الجانب السياسي وسيلة؛ ليحقق بها أهدافه، فقد نقد الفكر السياسي الإسلامي، لغرض تجزئته ووضع البديل محله.

الكلمات المفتاحية: الاستشراق - الغزو الفكري - الخلافة - التجزئة - التشويه.

Research summary:

© للمؤلف (المؤلفون)، يخضع هذا المقال لسياسة الوصول المفتوح ويتم توزيعه بموجب شروط ترخيص إسناد المشاع الإبداعي CC BY-NC 4.0

This study attempted to show the negative impact that Orientalism had, especially on its political wing, and the extent of its impact on the Arab citizen in the absence of a solid religious base, which Orientalism played an important role in destabilizing and trying to eliminate. As it is known, Orientalism represented an intellectual wing that penetrated greatly into Oriental studies in a way In general, and in Islamic studies in a more specific way, he tried through this incursion to infuse the spirit of his Western civilization to replace Islamic cultural thought, according to the retrospective historical approach and the descriptive analytical approach. This study was divided into two sections: The first was Orientalism, the intellectual wing of the Western invasion, and the second was Orientalism and the Caliphate, and its role in fragmentation, exclusion, and spreading the alternative. One of its results was that Orientalism found in the political aspect a means by which to achieve its goals. It criticized Islamic political thought for the purpose of fragmenting it and putting the alternative in its place.

Keywords :

Orientalism - Intellectual invasion - succession - fragmentation – distortion.

المقدمة:

كثيرًا ما استهوت الجوانب السياسية عددًا من المستشرقين، خصوصًا حقبة الغزو الأوروبي للعالم فترة الاحتلال، فقد أولى بعض المستشرقين اهتمامًا كبيرًا بالغزو الأوروبي، تمثل في تقديم معلومات عن الأمصار المراد احتلالها، تاركًا بذلك جملة من الآثار السياسية للفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية، مستخدمًا جملة من الوسائل منها تأجيج الجوانب العاطفية والفكرية بصور مشوهة عن طبيعة العلاقة بين العالم الإسلامي والأوروبي، و توظيف فكرة أن الإسلام لم يأتِ بجديد، بل جاء مشابهًا للمعتقدات اليهودية.

يمكن القول إن هذه الملامح تعد الأسلوب الذي استخدمه الاستشراق في التعامل مع التاريخ الإسلامي، وعرضه للغرب لغرض زرع صورة مشوهة عن الإسلام، بدافع محاربته

ومحاولة إيقاف مد الفتوحات الإسلامية الذي طال البلاد الأوروبية، فما كان له من وسيلة لردعه إلا القيام بهذه الحملة؛ لتساعده على مقاومة الفتوحات الإسلامية، وبما أن الدولة الإسلامية قائمة على نظام الخلافة، فطبيعة الحرب ستأخذ الطابع السياسي، وهذا النوع من الدراسات انشغل به الجناح السياسي من الظاهرة الاستشراقية، فركز دراساته على طبيعة النظام الفكري السياسي في الإسلام من دولة النبوة إلى دولة الخلافة، وصولًا لآخر مراحلها المتمثلة في الدولة العثمانية، ومن خلال دراسة الاستشراق لحال العرب قبل البعثة، علم جيدًا كيف كانت حياتهم قائمة على مجموعة من النعرات العرقية والعصبية التي ذوبها الإسلام، ولكن يأتي بعد ذلك الاستشراق؛ ليحاول إظهارها على السطح من جديد، محاولًا بذلك ضرب النسيج السياسي لدولة الخلافة الإسلامية وتقديم البديل، وهو ما سنناقشه خلال بحثنا هذا.

مشكلة الدراسة:

تكمن مشكلة الدراسة في أن حاضر العالم الإسلامي يعاني اليوم تشظيا كبيرا جدًا بين عددًا من الجماعات الإسلامية التي ظهرت على الساحة، وأصبح المسلم تائهًا بين هذه الجماعات، التي يمكن القول إنها جسدت الإسلام في صور مختلفة على الرغم من أن مصدرها واحدًا، وجاء هذا الأمر نتيجة لما قدمه الاستشراق السياسي في فترات سابقة، كانت كفيلة بإظهار هذه الجماعات وصناعة الكراهية بينها؛ لأن الصراع في الأصل صراع سياسي قائم حول ولاية الأمر، وتطرح هذه الإشكالية جملة من التساؤلات نذكر منها:

هل استطاع الاستشراق السياسي تغيير الخارطة السياسية في نظام الدولة الإسلامي؟

هل ما قام به الاستشراق السياسي كان له دور في إسقاط النظام السياسي في الإسلام؟

هل قدم الاستشراق البديل ليحل محل النظام المسقط؟

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة في كونها قد تناولت الاستشراق السياسي مبينة الأثر العميق الذي تركه خلفه على الساحة السياسية الإسلامية، وكذلك كيف قدم الاستشراق نظام الخلاف الإسلامية للعالم الغربي.

الدراسات السابقة:

تنوعت الدراسات السابقة التي عالجت أثر الاستشراق السياسي على النظام السياسي في الإسلام، نذكر منها ما يلي:

1- مصطفى نصر المسلاتي، الاستشراق السياسي في النصف الأول من القرن العشرين، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ليبيا، ط1، 1986م.

2- محمد ياسين عربي، الاستشراق وتغريب العقل التاريخي العربي، المجلس القومي للثقافة العربية، الرباط، المغرب، ط1، 1991م.

3- محمد خليفة حسن، آثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، مصر، ط1، 1997م.

4- عبد الله يوسف سهر، مؤسسات الاستشراق والسياسة الغربية تجاه العرب والمسلمين، مركز الإمارات العربية المتحدة للدراسات والبحوث الاستراتيجية، أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة، ط1، 2001م.

5- محمد الدعمي، الاستشراق الاستجابة الثقافية الغربية للتاريخ العربي الإسلامي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2006م.

6- علي بن إبراهيم النملة، الاستشراق السياسي وصناعة الكراهية بين الشرق والغرب، دار بيسان للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، 2015م.

7- مصطفى جابر العلواني، منطلقات الفكر السياسي الإسلامي في تنفيذ ادعاءات المستشرقين بشأن الإسلام، مجلة المسلم المعاصر، القاهرة، مصر، العدد 157، 2015م

8- فخري صالح، كراهية الإسلام كيف يصور الاستشراق الجديد العرب والمسلمين، الدار العربية للعلوم، بيروت، لبنان، ط1، 2016م.

منهجية الدراسة:

استلزمت طبيعة الدراسة استخدام العديد من المناهج البحثية وهي : المنهج التحليلي الوصفي – المنهج التاريخي الاسترادادي، والنقدي.

المبحث الأول:

الاستشراق، الجناح الفكري للغزو الغربي.

كما نعلم جميعا ولد الاستشراق وترعرع في البيئة الأوروبية بكافة أطوراها الفكرية والسياسية وغيرها، فقد نشأ في مجتمع سيطرت عليه فكرة الصراع ضد الإسلام، وكان هو أحد الأسلحة التي استخدمها الغرب في دعم صراعه ضد الحضارة الإسلامية، فقد "واصل الاستشراق دوره كسلاح علمي وفكري منذ بداية الإسلام، وحتى وقتنا الحاضر مرتبطًا بالحركات الاستعمارية الأوروبية، ووظيفة الاستشراق السياسية تقديم المعرفة بالأوضاع السياسية، والدينية، والاقتصادية، والاجتماعية الخاصة بالبلاد الإسلامية للقائمين على الحركة الاستعمارية في البلاد الأوروبية المختلفة؛ لتسهيل عملية الاستعمار، وتيسير طرق التعامل مع أهل البلاد المستعمرة"[1] بذلك يبدو واضحًا في كون الاستشراق له عدد من الأهداف التي يسعى إلى تحقيقها عبر مجموعة من الدوافع، كانت هي الوسائل لتحقيق هذه الأهداف، تمثلت هذه الأهداف في اتجاهين هما: البناء والهدم، أي أنه للاستشراق جانب يمكن أن نطلق عليه إيجابي، وهو جانب الدراسات الموضوعية، التي كانت غايتها الأساسية علمية صرف لا تشوبها نوازع داخلية ورؤى مسبقة، أما الجانب الآخر فهو الهدمي أو الدراسات الذاتية التي انطلقت من نوازع ذاتية، غايتها هدم أواصر هذه الحضارة، وهو ما يعرف بالجانب العنصري من الفكر الغربي، استخدم فيه الاستشراق عددا من الدوافع كان من بينها الدافع السياسي والاستعماري.

يمكننا القول إن الاستشراق لم ينطلق وفق نظرية استعمارية أول أمره، إذ كان محكومًا بنوع من النوازع الدينية مختلطة ببعض الاتجاهات العلمية، حيث كانت الكنيسة هي البيئة الفكرية التي ترعرع فيها الاستشراق، ولكن بعد ذلك "اجتاح الفكر الاستعماري أوروبا، انطلاقًا من بعض النظريات العرقية التي قادها رينان وأضرابه، وتطلعت الدول الأوروبية إلى استعمار العالم الشرقي، احتاج هؤلاء إلى الكثير من المعلومات التي تساعدهم في تحقيق تطلعاتهم الاستعمارية، وقد وجدوا في المستشرقين قوالب جاهزة ذات علاقة قوية بالشرق، وعلى دراية

[1] - محمد خليفة حسن، آثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، مصر، ط1، 1997م، ص37.

كافية بالكثير من المعلومات التي تمهد لحركة الاستعمار، ومن هنا تم التلاحم بين الاستشراق والاستعمار، ودخل المستشرقون في مرحلة جديدة هي المرحلة الاستعمارية"[1]

اتخذ الاستعمار اطوارًا مرحلية متنوعة، كان من بين أهم وأخطر هذه المراحل على الحضارة العربية الإسلامية في الجوانب الفكرية والسياسية، المرحلة الممتدة بين القرنين التاسع عشر والعشرين، حيث لم يتوقف خطر الاستعمار فقط بالسيطرة على مقدرات البلاد الاقتصادية ونهبها، وفرض الهيمنة الفكرية والسياسة، بل نجده قد "اتجه إلى إحداث التغيير في التفكير السياسي عند المسلمين وإجبارهم على تبني النظم السياسية الغربية، والتخلي عن النظم الإسلامية، وهذا بطبيعة الحال دور فكري، قام به الاستشراق السياسي الذي نقد النظم الإسلامية، ووصفها بالجمود والتخلف وعدم الصلاحية، وشرح النظم الغربية، وبين محاسنها وزينها في أنظار المسلمين، وحاول فرضها بالقوة في كثير من الأحوال، وأعد من بين المسلمين علماء تابعين للاستشراق، يروجون للنظريات السياسية الغربية، وينشرونها بين المسلمين"[2] في هذه الحقبة من الاستعمار جمع المستشرق بين دوره كمستشرق وعمله كمستعمر، حيث خلط بين دور الاستشراق في جانبه النظري وهو الجانب الفكري من دراسة وتمحيص، ثم تقديم الإنتاج في صور متعددة تخدم هذه التوجهات التي تنوعت بين الذاتية والموضوعية، والاستشراق في جانبه العملي الذي تمثل في إحدى صوره بالعمل الاستعماري.

نجد أن الكثير من الدارسين الذين اهتموا بالدراسات الاستشراقية، ربطوا بين ظهور الاستشراق، وبين هزيمة أوروبا في الحروب الصليبية، "لم يجد الغرب وسيلة مثلى لإحكام السيطرة على الشرق الذي هزمه في الحروب الصليبية إلا عن طريق دراسة هذا الشرق من كل النواحي لتطويقه، يقول مالك بن نبي إن أوروبا اكتشفت الفكر الإسلامي في مرحلتين من تاريخها، فكانت مرحلة القرون الوسطى قبل وبعد توماس الأكويني، تريد اكتشاف هذا الفكر وترجمته،.....، وفي المرحلة العصرية والاستعمارية، فإنها تكتشف الفكر الإسلامي مرة أخرى من أجل تعديل ثقافي، بل من أجل تعديل سياسي، لوضع خططها السياسية، مطابقة لما تقتضيه الأوضاع في البلاد الإسلامية من ناحية؛ ولتيسير هذه الأوضاع طبق ما تقتضيه

[1] - محمد فتح الله الزيادي، الاستشراق أهدافه ووسائله، دار قتيبة، دمشق، سوريا، ط2، 2002م، ص ص 38،39.

[2] - آثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية، ص ص 37،38.

السياسات في البلاد الإسلامية، لتسيطر على الشعوب الخاضعة فيها لسلطانها"[1] فالحروب الصليبية التي استمرت فترة طويلة من الزمان، كان من أسبابها صورة الكراهية التي رسمها متعصبو المستشرقين في عقول الشعوب الغربية، حيث رسمت صورة عن الإسلام والمسلمين تبين مدى وحشيتهم، وبالتالي يعد قتالهم أمرًا واجبًا للدفاع والذود عن معتقداهم، وحفظهم من بعض الأفكار التي قد تنتقل إليهم، وتكون سببًا داخليًا في صناعة صورة من هذا المتوحش الشرقي داخل المجتمعات الأوروبية.

إذًا يعد الاستشراق عدوًا شرسًا وحاقدًا على الإسلام، وهو يشكل الخلفية الفكرية للرؤى الغربية تجاه الشرق، سواء حملت هذه الرؤى الطابع السلبي أو الإيجابي "سواء أكانت أسباب التشويه للإسلام ناجمة عن حسن نية أم جهل أم سوء قصد، فتلك احتمالات تفسر الدافع الباطن للاستشراق، لكنها تمثل أخطر الأعمال التخريبية للشخصية الإسلامية، كما تساهم مساهمة فعالة في تشويه الإسلام، وتقديمه إلى الأجيال، كما يرمى الاستشراق بأنه: نتاج خليط مشوه من اليهودية والمسيحية والوثنية العربية، الشيء الذي يؤدي إلى زعزعة أصالة الفكر الإسلامي، وتعريضه إلى خطر التصفية والانهزام أمام العلمانية، ونجاح عملية التغريب للشخصية الإسلامية عن دينها ولغتها وثقافتها، وتنفك عن عروتها الوثقى التي لا انفصام لها"[2] غالبًا ما سعى الاستعمار إلى رسم مخططات غايته منها تشويه الإسلام، مستخدمًا مجموعة من الأدوات ذات الطابع الإعلامي الرنان؛ لغرض تغذية الصراع والخلاف بين القوميات المختلفة، حتى تصبح سدًا منيعًا أمام تضامن ووحدة المسلمين، كان الاستشراق هو الأداة الرئيسة في تنفيذ هذه المخططات، حيث بث مجموعة من المفاهيم كالأصولية الإسلامية والإرهاب الإسلامي، وكذلك تأجيج الصراع المذهبي بين السنة والشيعة، لغاية تجزئة العالم الإسلامي للسيطرة عليه، وفصله بحواجز سياسية متصارعة.

يمكننا القول إن الاستشراق قد عمل على إظهار الاختلاف الكبير بين الإسلام والمدنية والحداثة، وسعى جاهدًا إلى "إقناع المسلمين بأنهما ضدان لا يجتمعان ولابد من رفع أحدهما،

---

[1] - عقيلة حسين، المرأة المسلمة والفكر الاستشراقي، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1، 2004م، ص ص 60،61.

[2] - محمد إبراهيم الفيومي، الاستشراق رسالة استعمارية، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ط1، 1993م، ص 108.

قاصدين الإسلام بالطبع، حتى تلحق البلدان الإسلامية بركب الحداثة والتطور، فلما كانت الحداثة الغربية هي النظام المبتغى والسائد عالميًا، ولا مندوحة عنها لمن يريد أن يلحق بركب التطور العالمي، كان من البديهي أن الذي سيرتفع من النقيضين هو الإسلام، لإثبات أنه لا يتماشى مع الأحكام العصرية، وأنه نظام قديم قد بلى، ولم يعد صالحًا لأن يساير متطلبات العصر، ولا ريب أن الاستشراق قد استهدف تزييف الفكر الإسلامي للوصول إلى غاية أساسية هي إخضاع المسلمين لحكم المستعمرين"[1] من خلال ذلك يتضح جليًا الدور الذي يلعبه الاستشراق في خدمة الاستعمار، وكيف أنه إحدى أدواته التي يستعين بها من أجل الغزو الغربي للعالم الإسلامي، حيث "يقوم الاستشراق بهجوم ثقافي بديلًا عن الاستعمار في هجومه المسلح، يهدف منه إلى التأثير على نفسيات وعقول الجماعة الإسلامية، كي يصيبها بعوامل التفسخ والانحلال ما يهيئها بالتالي إلى توجيهها وجهة مخالفة لأهدافه ومصالحه، وإذا كانت عمليات الاستعمار بالشعوب مفاجئة وسريعة، فإن عمليات الاستشراق جاءت هادئة تعتمد على التدرج والتهيئة، ووسيلته إلى ذلك هي إبراز السلبيات الثقافية من ثقافات شعبية أو أساطير، وتسليط الأضواء عليها، وإيهام القارئ بأن التراث الإسلامي هو تلك الخرافات الشعبية"[2] بدا واضحًا أن الاستشراق كان عاملًا مساعدًا للاستعمار، وأنه كان وسيلة تمهيدية للسيطرة على الفكر الإسلامي من خلال ما قدمه للجانبين الغربي والعربي، حيث اتسمت دراساته بالازدواجية فدرست في الظاهر الفكر الإسلامي، وهدفت في الباطن إلى تهيئة العقول الإسلامية، لتقبل حركة الاستعمار الغربي.

بعد انحسار الاستعمار اتجه كثير من المستشرقين للعمل في وزارات الخارجية للدول الغربية على هيئة خبراء في المجالات الدينية والسياسية والاقتصادية؛ لتقديم المعونة اللازمة لبلدانهم، حيث إنهم يمتلكون الذخيرة الثقافية الكافية في شتى المجالات عن الحضارة العربية الإسلامية "إن الاهتمام الأوروبي، ثم الاهتمام الأمريكي، بالشرق كان اهتمامًا سياسيًا وفق بعض الروايات التاريخية الواضحة له، لكن الثقافة هي التي أوجدت ذلك الاهتمام، وجعلت تمارس تأثيرها جنبًا إلى جنب مع الدوافع العقلانية الأخرى، من سياسة واقتصاد وعسكرية،

[1] - أنور الجندي، الإسلام في وجه التغريب، دار الاعتصام، القاهرة، مصر، دط، 1987، ص268.

[2] - الاستشراق رسالة استعمارية، ص 109.

حتى جعلت الشرق يتخذ صورة المكان المتنوع السمات والمعقد"[1] بناء عليه قد جذب العمل السياسي العديد من المستشرقين، حيث تقديم المعونة ووضع الخطط التي تساعد سياسة بلدانهم؛ لتطويع سياسة البلدان الإسلامية، استمر هذا العمل لعدة قرون حمل طابع الصراع بين الغرب والإسلام، كانت غايته الأساسية إحداث تأثيرات ذات طابع سلبي في فكر المسلمين السياسي.

كان غرض الاستشراق إحداث تغييرات في النظرية السياسية لدى المسلمين خصوصا في القرون الأخيرة، حيث سعى جاهدًا إلى "إضعاف روح الإخاء الإسلامي بين المسلمين في مختلف أقطارهم عن طريق إحياء القوميات التي كانت لهم قبل الإسلام، وإثارة الخلافات والنعرات بين شعوبهم، وكذلك يفعلون في البلاد العربية، يجهدون لمنع اجتماع شملها ووحدة كلمتها بكل ما في أذهانهم من قدرة على تحريف الحقائق، وتصيُّد الحوادث الفردية في التاريخ؛ ليصنعوا منها تاريخًا جديدًا يدعو إلى ما يريدون من منع الوحدة بين البلاد العربية، والتفاهم على الحق والخير بين جماهيرها"[2] لعب الاستشراق دورًا كبيرًا كونه مثل الجانب الفكري للاستعمار في إعادة إحياء فكرة الروح القومية التي كانت موجودة عند العرب قديمًا، التي كان لها دورًا مهمًا في تقسيم الأمة إلى عدة أقليات شعوبية، لتسهيل جذبه واستبدال الروح الأصيلة بروح هجين تساعد على إضعاف رابطة الشعوب"، في سبيل تحقيق هذا الهدف نشط الاستشراق نشاطًا علميًا واضحًا في مجال الدراسات القومية التي ركزت على دراسة تاريخ كل شعب إسلامي على حده، بهدف تحقيق العزل الديني والثقافي للشعوب الإسلامية عن بعضها البعض، وإضعاف العامل الديني كعامل أساسي في ربط الشعوب الإسلامية، وتأصيل الوجود القومي لكل شعب، بالعودة إلى التاريخ القديم السابق على ظهور الإسلام، وعلى دخول الشعوب الإسلامية فيه، وإبراز الصفات والسمات القومية وإعلائها على السمات الإسلامية، وتقوية النعرة القومية والنزعة العرقية الانفصالية، والاتخاذ من التراث التاريخي والحضاري القديم كأساس للتفرقة،

[1] - إدوارد سعيد، الاستشراق المفاهيم الغربية للشرق، ت محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2006م، ص ص 57،58.

[2] - مصطفى السباعي، الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم، دار السلام، القاهرة، مصر، ط1، 1998م، ص ص 28،29.

وتفضيل حضارة على حضارة، والإيحاء بالشعور بالأفضلية العرقية لكل شعب على الآخر"[1] بذلك يعد الاستشراق هو العامل الأساسي في إعادة النعرات العصبية، وإظهارها على سطح الفكر الإسلامي من جديد، فظهرت العصبية بين العرب والفرس والترك، وعزلت بفضل هذا العمل الاستشراقي بعضها عن بعض، لدرجة أنها اتخذت مواقفًا متضادة جاءت نتيجة لمصالح عرقية وقومية.

بالإضافة إلى ما قام به الاستشراق من بث وإعادة إحياء فكرة القومية والنعرات العصبية داخل المجتمعات الإسلامية، لغرض إقامة كيانات تقسم المجتمعات بعد أن كانت تحت رابطة واحدة، نجد للاستشراق دورًا آخرًا وهو نشر الفكر الشيوعي والرأسمالي بأطوارهما المتنوعة، وبثهما داخل المجتمع الإسلامي، لغرض صياغة نظام سياسي، وكذلك نظام اقتصادي ليحلا محل الأنظمة الإسلامية، إذ "من الواضح أن الفلسفة الليبرالية والنزعة القومية أولًا ثم الفكر الماركسي والاشتراكية وأنظمة الفكر الغربية الأخرى التي جاءت فيما بعد، من الواضح أن كل ذلك تربطه علاقات غامضة مع الاستشراق، فكل واحدة من هذه العقائد الفكرية، أثرت على الاستشراق في الوقت الذي راحت فيه تؤيد فرضياته الإيديولوجية الأساسية، كتفوق الغرب على الشرق، وضرورة وضع هذا الأخير تحت الوصايا، ولكن من الواضح أن الاستشراق يلعب دورًا كبيرًا في نشر هذه العقائد المستوردة داخل المجتمعات العربية الإسلامية، وفي الوقت ذاته نلاحظ أنه يتخذ هذه العقائد قناعا يختبئ وراءها لكي يحافظ على احتكاره لتقديم الصورة عن الشرق، بل لكي يدعم هذا الاحتكار"[2] فقد كان له دور كبير في نقل الفكر الشيوعي والرأسمالي، وثقافة المجتمعات الغربية الحاضنة له، إلى الدول الإسلامية حيث كان عامل تغيير ثقافي واجتماعي لهذه المجتمعات، كما كان للاستشراق دور كبير من خلال ما بثه من فكر، في تفكيك الأنساق الاجتماعية، وتفتيت وحدة المجتمعات الإسلامية السياسية والاقتصادية.

لعب الاستشراق دورًا بارزًا في تغيير نمط حياة البلدان الإسلامية، لغرض إعدادها وتهيئتها حتى تكون متماشية مع النظم الدخيلة، لدرجة اختفاء النظم الأصلية للمجتمعات الإسلامية، بعد ظهور وسيطرة الفكر القومي الذي كان من بين أهدافه الرئيسة إسقاط الدين الإسلامي،

[1] - آثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية، ص 39.

[2] - محمد أركون وآخرون، الاستشراق بين دعاته ومعارضيه، ت هاشم صالح، دار الساقي، بيروت، لبنان، ط2، 2000م، ص 221.

لأنه رابط هذه الشعوب، فقد أكد الفكر القومي على ثقافة الاختلاف، ونادى كثير بالعودة إلى حقب تاريخية قديمة تصل لمرحلة ما قبل الإسلام، حتى يبين للشعوب العربية أن حياتها الفكرية قبل الإسلام حملت العديد من الاعتقادات المطابقة أو المشابهة لما جاء به الفكر القومي؛ ليصل من خلال ذلك إلى دحر العامل الديني كوثاق للمجتمعات، وإحلال النظم الأجنبية الحديثة محله، كل ذلك وغيره كان من أعمال الاستشراق الذي كان يمثل ذلك الجناح الفكري للغزو الثقافي الغربي، فقد انتقل من كونه عاملا مساعدًا للاستعمار الصليبي إلى مرحلة العمل السياسي المتبلور في بث الأفكار الدخيلة؛ ليصل في آخر المطاف إلى غايته المنشودة، وهي زعزعة الفكر والنظم الإسلامية، وإحضار النظم البديلة لتحل محلها، حتى تكون البيئة الإسلامية مهيأة لقبول الاستعمار في صورته الجديدة، ويصبح المسلم مغتربًا عن ذاته داخل مجتمعه وبين أبناء جلدته.

المبحث الثاني:

الاستشراق والخلافة، ودوره في التجزئة والإبعاد ونشر البديل.

كان الإسلام ولازال يشكل الخطر الكبير على الغرب الصليبي، فقد دق المد الإسلامي نواقيس الخطر المسيحي، حيث سعت الخلافة الإسلامية إلى نشر الإسلام دون حد أو قيد، وتمثلت آخر معاقل هذه الخلافة في فترة الدولة العثمانية، وإن غلب عليها في فترات متأخرة طابع الضعف، حتى نعتت بالرجل المريض، ولكنها كانت تمثل وحدة المسلمين من جانب، ومثلت استمرار النظامي السياسي الإسلامي المتمثل في الخلافة الإسلامية من جانب آخر، تعددت أسباب ضعف الدولة العثمانية بين أسباب داخلية وخارجية تمثلت الأخيرة في تكالب الغرب المستعمر على النظامي الإسلامي –الخلافة- لغرض إسقاطها والتخلص منها، على اعتبار أنها كانت تمثل وحدة الإسلام والمسلمين.

إن الصراع سالف الذكر كان بين نموذجين من الحضارة الإنسانية، وهما النموذجي الحلولي _المسيحي_ والاستخلافي _المسلم_ أي أنه صراع يحمل بالإضافة إلى الطابع الديني طابعا استعماريا عسكريا وسياسيا بين الغرب والشرق، والاستشراق مثل الجناح الفكري للغزو الغربي، نجده قد أولى اهتمامًا بالغًا بهذا النظام _نظام الخلافة الإسلامية_ حيث كان "موضوع الخلافة من أهم الموضوعات التي أولاها الاستشراق الاهتمام العلمي والسياسي، وقد

علم المستشرقون أن تشويه صورة الخلافة في الماضي وضربها في الحاضر يعد عاملًا أساسيًا في محاربة الإسلام الذي تمكن من خلال الخلافة في عصور قوتها من إرسال الفتوحات الإسلامية إلى البلاد النصرانية، ومواجهة الجيوش الصليبية، ومحاربة الاستعمار الحديث منذ القرن الثامن عشر الميلادي"[1] بذلك شكلت دولة الخلافة الإسلامية بجميع مكوناتها في ذلك العصر خطرا كبيرا يهدد الغرب المسيحي بتقويض أركانه، الأمر الذي دفعه إلى محاربة هذه التجمع الإسلامي الممثل في دولة الخلافة العثمانية الذي بات بمثابة الموت القادم من الشرق.

بطبيعة الحال شكلت هذه الحقبة التاريخية من خلافة الدولة الإسلامية رعب وتهديد مباشر لحلولية الغرب المسيحي، فلم تكن الدولة العثمانية عبارة عن رمز يمثل الدولة الإسلامية فقط، لكنها "قامت بالفتوحات الإسلامية، ولأول مرة في قلب القارة الأوروبية، وهو خطر عظيم لم يمر به الغرب من قبل في تاريخ علاقته بالمسلمين، لقد ظلت الخلافة العثمانية أكثر من خمسة قرون، وصلوا فيها بفتوحاتهم إلى أبواب فيينا، وأصبحت الخلافة العثمانية تمثل من وجهة نظر الغرب الأوروبي خطرًا دينيًا وسياسيًا على القارة الأوروبية؛ حيث امتدت أملاك الخلافة داخل القارة الأوروبية، وانتشر الدين الإسلامي على يد العثمانيين في العديد من البلاد الأوروبية الشرقية"[2] بذلك أصبح الصدام بين الدولة الإسلامية والغرب _بصورة أكثر جلاء_ صدامًا مباشرًا وعلى الساحة الغربية، على عكس ما كان سابقًا، حيث كان الصراع خارج القارة الأوروبية، فأصبحت أوروبا ساحة صراع عسكري وعقائدي زعزع أركان الغرب المسيحي.

بناء على هذه الأحداث التي أصبحت أوروبا ساحتها، ما كان للغرب من وسيلة يلجأ إليها للخروج من هذا المأزق سوى أن يضع الخطط التي قد تساعده على إيقاف المد الإسلامي ومنع انتشاره، وبالتالي الخلاص من هذه المسألة التي أطلق عليها المسألة الشرقية أو المشكلة الشرقية، حيث وضع الخطط للخلاص من هذه المشكلة، فقد عمل على "دفع المستشرقين إلى التخصص في الدراسات العثمانية، بهدف تحليل أوضاع الخلافة العثمانية في الداخل، ومعرفة أحوالها في البلاد الأوروبية التي وقعت تحت سيادتها، ومعرفة تأثيرها في البلاد الأوروبية الواقعة على حدود الخلافة العثمانية، وقد بدأ المستشرقون في بذل الجهود العلمية المضنية في تغطية

[1] - آثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية، ص ص 42،43.

[2] - آثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية، ص 43.

الأوضاع السياسية والاقتصادية والدينية والاجتماعية لبلاد الخلافة العثمانية، للتعرف على مواطن الضعف فيها والبحث عن سبل تقويض الخلافة من الداخل، وإثارة النزاعات القومية عند الشعوب الخاضعة لها، واستقطاب الشعوب العربية والإسلامية ضدها، والعمل على تغريب المجتمع التركي من الداخل"[1] بذلك يخطو الاستشراق أولى خطواته في مشروعه ضد دولة الخلافة الإسلامية فترة الحكم العثماني، مستخدمًا العديد من الوسائل لغرض فرض الزعزعة وعدم الاستقرار الداخلي للدولة العثمانية كخطوة تمهيدية؛ لتقويض أركانها ووضع النهاية لدولة الخلافة الإسلامية.

يكمل بعد ذلك الاستشراق مشروعة حيث يعمل على عزل المواطن عن مجتمعه، لغرض تغريبه عن الدولة، وإبعاده عن الإسلام، ووضعه في هيئة تناسب المجتمع الغربي، بعد أن "هجر سياسته الإسلامية، وتبنى علمانية أوروبية انعزل بها عن دينه، وارتمى في أحضان الثقافة والنظم الغربية"[2] بذلك تتزعزع وتنهار آخر معاقل الخلافة الإسلامية المتمثلة في الدولة العثمانية، وبسقوطها غاب الواقع السياسي للمسلمين، وأصبحت الدولة الإسلامية شتات لم تجمع تحت شمل واحد قائم على أسس عقائدية بعد ذلك.

بذلك تنطلق مرحلة جديدة في المشروع الاستشراقي ألا وهي التجزئة، بعد الانتهاء من تفتيت الدولة العثمانية وإسقاطها، انتقل الاستشراق للبدء في عملية تجزئة المسلمين إلى جماعات تجمعها عرقيات وأنساب ومصالح قومية ومذاهب، فأصبح التقسيم وفق نهج مصلحي قائم على أيديولوجيات معينة "وانتصرت القوميات والشعوبيات واختلاف الأجناس والألوان واللغات، وهي كلها عناصر نجح الإسلام في تذويبها والقضاء عليها، وإقامة أمة إسلامية واحدة على أساس من وحدة العقيدة"[3] فبعد أن وحّد الإسلام المسلمين وأزال جملة العقائد والافكار التي كانت نواميس تحدد طبيعة العلاقة بين العرب قبل البعثة، فجمعهم على عقيدة واحدة قائمة على أساس رصين، يأتي بعد ذلك المشروع الاستشراقي محاولًا زعزعة هذه الوحدة وتفتيت الأمة، بأن أحيا فيها جملة من النعرات الجهوية والعرقية؛ لتحقيق هدفه الأساسي وهو "الولوج إلى أفئدة الشعوب العربية لتهيئتها لقبول الوصاية الاستعمارية، وكانت أساليبه في ذلك

[1] - آثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية ، ص44.

[2] - آثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية، ص ص 44،45.

[3] - آثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية ، ص 47.

متعددة، كلها تركز على أهمية ضرب الوحدة الفكرية"[1] وإن تعددت الوسائل والأساليب التي استخدمها الاستشراق للوصل إلى مبتغاه، ولكنها قامت على مسلمة أساسية انطلقت من وحدته الفكرية، وهي مجموعة من الرؤى المسبقة عن الشرق قائمة على جملة من النظريات منها الأطماع الاستعمارية، والنظريات العرقية التي غذت الفكر الغربي، كانت الغاية من ورائها ضرب الوحدة الفكرية للحضارة الإسلامية.

لكي يصل الاستشراق إلى مبتغاه في ضرب الوحدة الفكرية والثقافية للحضارة العربية الإسلامية، طرق العديد من النواحي التي كانت سببًا في تحقيق ما كان يصبو إليه، من بين هذه النواحي، عمد الاستشراق إلى "إضعاف الروح المعنوية لدى المواطن العربي وتشكيكه في ذاته، فقد انداحت دائرة الاستشراق في دراساته عن الشرق وشعوبه، وقدمها في صورة سوداء، وأكد الاستشراق على أن الشرق ذاته موسوم بالغيرية وأنه سلبي، لا يستطيع بحكم طبيعته المشاركة في السلم الحضاري، وفي الوقت نفسه فهو عديم النشاط عديم الاستقلال لا يستطيع الاعتماد على نفسه"[2] وتعد هذه أولى المراحل ليحقق من خلالها الزعزعة المطلوبة، فيُقدّم الشرق للغربي بصورة سلبية دونية، ثم يجعل منها قاعدة تنطلق منها الدارسات نحو الشرق، لتصبح فيما بعد من دراسات الشرقيين أنفسهم، فقدم عديد الشواهد التي كانت بمثابة دليل على صحة كلامه، فاستشهد بحالة الشعوب الشرقية من حيث مقارنتها بما وصلت إليه الحضارة الغربية من تقدم، الذي يقابله التخلف والتفكك لدى الشعوب العربية، لكي يرضخ الشرق للوصاية الغربية باعتبارها أكثر تقدمًا وهو القادر على قيادة دفة الحضارة الإنسانية؛ ليسهل عليه التحكم في الفكر الشرقي وإدارة مساقاته الفكرية، وبالتالي التحكم فيه سياسيًا، ليصل الأمر في آخر المطاف إلى حكمه والسيطرة عليه.

تأتي بعد ذلك مرحلة أخرى قدمها الاستشراق في هذا الاجترار ألا وهي تركيزهم على تأصيل ماضي الحضارة العربية الإسلامية، والتي يعتبرها الكثير من البحاث أنها مثلت قمت التطور والازدهار، فنجد الدراسات الاستشراقية تقدمها في صورة مشوهة، فقد "حرصوا على إبراز خصائص هذا الماضي وتشويهه على اعتبار أنه إذا كان الماضي مشوهًا فالنتيجة الحتمية لذلك طبعًا أن تخلف الشرق في الوقت الحاضر أمر لا مفر منه مادام مرتبطًا بتراث ذلك

[1] - الاستشراق رسالة استعمارية، ص 215.

[2] - الاستشراق رسالة استعمارية، ص 215.

الماضي المتخلف، وهذا بدوره مرسخ لأوضاع الاستعمار، ولأهداف نظرية العرق، ولا حياة لشعب نحى عن تراثه وماضيه"[1] فلم تهدف هذه الدراسات _التي كانت نشطة جدًا تجاه الحضارة العربية الإسلامية _إلا لتجديد بعض النعرات والعرقيات الشعوبية القديمة، لتذكي روح الخلاف ويضرب النسيج الفكري والعقائدي المتماسك.

كذلك وجه الاستشراق دراساته نحو الإسلام واللغة العربية، فقد شكلا أحد هذه المراحل، لأنهما مثلا قاعدة الوحدة العقائدية والفكرية للشرق الإسلامي، فقد حاولوا تشويه الإسلام، وبث السموم لإثارة الشبهات وإظهاره بشكل يجعله غير صالح كطريق سلوكي ومنهج للمسلمين، وكان ذلك واضحًا من خلال شروحهم للمتشابه من القرآن لبث الشكوك، وعمدوا إلى تشويه وتحريف السيرة النبوية، ليصلوا بعد ذلك للركيزة الثانية ألا وهي اللغة العربية، حيث حاولوا إظهار مدى عجزها عن مجاراة التطور الحضاري الغربي، ولكي تواكب ذلك التطور عليك تبني لغة العلم والحضارة اللغة الغربية، وكان الغرض من ذلك هو دفع مفكري الحضارة الإسلامية إلى استبدال أبجدية الضاد بالأبجدية الغربية، وكان من نتاج ذلك ظهور اللكنات واللهجات الدارجة أو المحلية، لتبعد حتى المواطن العادي عن لغته الأم، كل هذه الإرهاصات جاءت نتيجة لخوف الغرب من المد الإسلامي الذي روج له بحيث "يظل الخوف من الإسلام وهمًا من الأوهام التي روجت لها عناصر، رأت أن الإسلام يهدد مصالحها الخاصة، وأعان على ترسيخ هذا الوهم حجب المعلومة الصحيحة عن الإسلام، أحيانًا من قبل المنتمين إليه، ومن ثم تقديم معلومات مغلوطة ومشوهة عن هذا الدين الشمولي، وهنا يأتي أثر الاستشراق الصحفي الذي يميل إلى السياسة، ودوره في ترويج المعلومة المزيفة الموغلة في التزييف والتضليل، عمدًا في غالب الأحوال وفي الوقت نفسه إغفال أثر الحضارة الإسلامية والشرقية في بناء الجذور الحضارية الغربية المهيمنة اليوم، وتعمد تغييب هذا البعد الفعلي في تلاقي الحضارات، وتطويرها وتطويعها للمعطيات الثقافية، ما يعني وضوح أثر الاستشراق في هذا المجال"[2] بذلك يمكن القول إن الاستشراق بصورة أو أخرى قد وصل إلى مبتغاه، حيث كان

[1] - الاستشراق رسالة استعمارية ، ص 216.

[2] - علي بن إبراهيم النملة، الاستشراق السياسي وصناعة الكراهية بين الشرق والغرب، دار بيسان للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، 2015م، ص ص 158،159.

عـاملًا مـن العوامـل الرئيسـة التي سـاعدت على زعزعـة التنـاغم، والاتحـاد الثقـافي للحضـارة الإسلامية، من خلال محاولاته لضرب الدين الإسلامي.

بعد هذه التجزئة والتفتيت للأمة الإسلامية سعى الاستشراق إلى جر الشعوب الإسلامية لمستنقع الحضارة الغربية المادية، لكي يبعدهم عن نظامهم الديني القائم على ركيزة التوحيد، لتحل محله الحضارة المادية، ليتحول _بعد ذلك _ تدريجيًا إلى تقمص هذه الشعوب أنظمة غريبة عنها، لتستبدل مبادئها الاجتماعية والسياسية القائمة على أسس إسلامية بقيم مادية متجردة من الدين، غايتها فصل الدين عن الدولة، وهو ما يعرف بالمد العلماني "نتج عن هذا التبني للفكر العلماني في مجال السياسة أن افترقت مصلحة الأمة الإسلامية إلى عدة مصالح سياسية متضاربة، وتوزعت البلاد الإسلامية بين عدة محاور سياسية، ولم تعد تربطها رابطة، ودخل بعضها في حروب ضد بعض بسبب الانتماءات السياسية، وتضارب المصالح القومية وظهور العديد من المحاور الإقليمية التي استقطبت العديد من البلاد العربية والإسلامية، وأبعدتها عن مصلحتها الإسلامية الأساسية"[1] بذلك أصبحت العديد من الدول العربية والإسلامية شتات تتبع دول خارجية سيطرت عليها بالغزو الثقافي وأفرغتها من محتواها الحضاري، مستخدمة في ذلك جملة الوسائل السالفة الذكر، فعن طريق التضليل الفكري طرح الاستشراق عددًا من القضايا كان لها دور كبير في الإساءة للإسلام، وتخدم في الوقت ذاته مآرب الاستشراق التي سعى إلى تحقيقها.

كما قدم الاستشراق نقدًا شوه به النظام السياسي الإسلامي، بإثارة العديد من الشبهات عن نظام الخلافة الإسلامية، كونها مثلت النظام الساسي للإسلام، وأظهرها في صورة عاجزة ومتخلفة غير قادرة على مجاراة ومجابهة القضايا الحديثة، لتقديم نظام سياسي يحل بديلًا عن النظام الإسلامي، فبعد إسقاط نظام الخلافة العثمانية، أصبحت الساحة السياسية الإسلامية شبه فارغة، وهو ما سعى إليه الاستشراق حتى يتمكن من وضع البديل وفرضه على الشعوب الإسلامية، من خلال إظهار أفضلية السياسة الغربية، ومدى مواءمتها للعالم المعاصر "أن النقد الاستشراقي للنظام السياسي في الإسلام منطلق من وجهة نظر غربية خالصة ترغب في سيادة النظام الغربي في العالم، وهو نقد خال من الموضوعية العلمية،

[1] - آثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية، ص ص 47،48.

ويعاني من عدة أخطاء منهجية من أهمها تفسير النظام السياسي في الإسلام في ضوء خلفية استشراقية سياسية غربية لا تصلح للحكم على نظام سياسي تابع لحضارة مختلفة، وصادر عن دين معين هو الإسلام، في الوقت الذي لا يرتبط فيه النظام الغربي بمصادر دينية، فهو نظام وضعي تم تطويره في ظل الفصل التام بين الدين والدولة"[1] من خلال هذا المنطلق يصبح النقد غير متواز في غياب سلطة الدين الرقابية على أخلاقيات العمل السياسي، حيث نجد النظام السياسي الإسلامي قائم وفق منظومة أخلاقية مستلة من الدين، تسعى إلى تحقيق العدل والمساواة بين أبناء هذه الأمة دون أية فروقات أو حواجز، في حين أن السياسة الغربية تسعى لتحقيق مصالح وفق توجهات أيديولوجية معينة سواء كانت قومية أم عرقية، وترى أن غاية وصولها لهذه المطامح مبررة بأي أسلوب كان، فالغاية تبرر الوسيلة لتحقيق ما تطمح إليه من مصالح، دون الرجوع لأي قوانين أخلاقية وفي غياب تام لدور الدين الذي دائمًا ما يسعى لصنع التوازن الطبقي.

إن خلفية الفكر السياسي الغربي قائمة على مبدأ فصل الدين عن الدولة، أي ما يعرف بالنظام العلماني الذي حاول الغرب عن طريق الاستشراق في صراعه مع الحضارة العربية الإسلامية، حاول كثيرًا بثه وتسويقه في المجتمعات الإسلامية، وكان نجاحه في ذلك متفاوت بين تلك الدول، وقائمة أيضًا على مبدأ الديمقراطية، فقد "تأثر المستشرقون بفكرة الديمقراطية الغربية، واعتبروها المقياس الناقد والمعيار الذي تنقد في ضوئه كل النظم السياسية الأخرى ومن بينها النظام الإسلامي، وهنا يظهر خطأ استشراقي آخر في عملية المفاضلة بين الديمقراطية الغربية ونظام الشورى في الإسلام، وتفضيل الديموقراطية على الشورى"[2] والمفاضلة هنا بين النموذجين لا تستقيم، لأنه غير قائمة على معايير موضوعية، ولم تراع التسلسل التاريخي للشورى والديمقراطية، ولكنها جاءت نتيجة لمبدأ الهيمنة والسيادة الغربية والنظر إلى بقية النظم السياسية الأخرى نظرة دونية مهما كانت إيجابياتها.

إن نقد الاستشراق لنظام الحكم السياسي في الإسلام انطلق من مسلمة مفادها "أن الإسلام لا يملك فكرًا سياسيًا، وأن النظرية السياسية في الإسلام ليست أصيلة، وإنما مأخوذة

[1] - آثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية ، ص 49.

[2] - أمينة الصاوي، عبدالعزيز شرف، جارودي والحضارة الإسلامية، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جده، السعودية، ط1، 1985م، ص228.

من نظم أخرى أجنبية، والهدف من إثارة هذه الشبهة العامة تشويه الدين الإسلامي، ونسبة ما نشأ عنه من نظم ونظريات إلى أديان وحضارات أخرى، ورد منجزات الإسلام في مجال السياسة والحكم إلى مصادر أجنبية"[1] إن الناظر لمسيرة التاريخ يمكنه التمييز وبجلاء بين هذه الشبهة التي قدمها الاستشراق وبين حقيقة نظام الحكم الإسلامي، وما قدمه هذا النظام من نظرية سياسية لنظام الحكم في الدولة الإسلامية قائمة على نظام الخلافة ، الذي أثبت مدى استقراره واستمراره فترة طويلة، مثلت أطول فترة حكم في التاريخ، امتدت من دولة الخلافة الراشدة وصولًا إلى الدولة العثمانية، تخللتها العديد من المحطات، أثبت من خلالها هذا النظام رصانته وثباته، ولم تكتب له النهاية إلا بعد أن تحالفت وتآمرت عليه الأنظمة الغربية، لإسقاطه في فترة وسمت بضعف وخور دب في نظام الخلافة الإسلامية في العصر الحديث.

خاتمة:

بناءً على ما تقدم، أدرك الباحث أن الاستشراق السياسي مثل مشروعًا ميدانيًا غربيًا، جاء ردة فعل ضد التمدد الإسلامي وتوسع رقعة الانتشار الديني، الأمر الذي دق نواقيس خطر العالم الغربي، وبعد أن أدرك الغربيون أن وسائل المجابهة المباشرة المتمثلة في الحروب كالحروب الصليبية لم تعد مجدية، ذلك أن الصراع تحول من صراع مسلح إلى صراع عقائدي، فلم تكن هناك من وسيلة لزعزعة هذه العقيدة إلا عن طريق ضربها بالغزو الثقافي، عن طريق وسائل متعددة كان الاستشراق السياسي من بين هذه الوسائل.

لقد استخدم الاستشراق السياسي كوسيلة لضرب النظام السياسي في الإسلام القائم على مفهوم الخلافة وعلى مبدأ الشورى، فجاء الاستشراق ليحيي ثلة من التوجهات الأيديولوجية والقوميات العرقية، ويبث الفكر الديمقراطي محاولًا وضعه عوضًا عن الشورى التي كانت سائدة في نظام الخلافة الإسلامية؛ ليصل في نهاية المطاف إلى نقد شامل للنظام السياسي في الإسلام، وتقديم الحل الغربي المتمثل في فصل الدين عن الدولة –العلمانية- كبديل.

[1] - آثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية، ص 50.

النتائج:

1- يعد الاستشراق السياسي أحد أهم الوسائل التي استخدمها الغرب لضرب النظام السياسي في الإسلام.

2- سببت الدراسات التي قدمها المستشرقين عن الإسلام ، توترًا في علاقة الأمة الإسلامية مع بقية الأمم الأخرى.

3- أن العلاقة القائمة بين الحضارتين الإسلامية والغربية، لم تكن في يومًا من الأيام علاقة تحاور، بل كانت النظرة الغربية للعرب نظرة استعلائية ينتج عنها بطبيعة الحال صراع، وهو ما حدث بالفعل بين الحضارتين، كان هذا الصراع صراعًا فكريًا.

4- شوه الاستشراق صورة النظام السياسي الإسلامي، حيث وصفه بأنه غير قادر على مجاراة الفكر الحديث، وأنه جاء اجترارًا لأنظمة سابقة.

التوصيات:

1- إنشاء مراكز بحوث تُعنى بالدراسات الاستشراقية.

2- توسيع مجال الدراسات المتعلقة بالاستشراق لتشمل أكبر عدد ممكن من طلاب العلم.

3- عقد ندوات تهتم بالرد على الشبه التي ألصقها الاستشراق بالفكر السياسي الإسلامي.

المصادر والمراجع:

1- إدوارد سعيد، الاستشراق المفاهيم الغربية للشرق، ت محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2006م.

2- أمينة الصاوي، عبدالعزيز شرف، جارودي والحضارة الإسلامية، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جده، السعودية، ط1، 1985م.

3- أنور الجندي، الإسلام في وجه التغريب، دار الاعتصام، القاهرة، مصر، د ط، 1987.

4- عقيلة حسين، المرأة المسلمة والفكر الاستشراقي، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1، 2004م.

5- علي بن إبراهيم النملة، الاستشراق السياسي وصناعة الكراهية بين الشرق والغرب، دار بيسان للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، 2015م.

6- محمد إبراهيم الفيومي، الاستشراق رسالة استعمارية، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ط1، 1993م.

7- محمد أركون وآخرون، الاستشراق بين دعاته ومعارضيه، ت هاشم صالح، دار الساقي، بيروت، لبنان، ط2، 2000م.

8- محمد خليفة حسن، آثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، مصر، ط1، 1997م.

9- محمد فتح الله الزيادي، الاستشراق أهدافه ووسائله، دار قتيبة، دمشق، سوريا، ط2، 2002م.

10- مصطفى السباعي، الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم، دار السلام، القاهرة، مصر، ط1، 1998م.